دور انكلترا في حل النزاع الاوربي حول صقلية ١٢٨٤-١٣٨٩

ا.د . كريم مطر حمزة الزبيدي
جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الانسانية
Karim Matar@gmail.com

م. م . محمد عبد الرضا موسى
جامعة بابل – كلية التربية للعلوم الانسانية
moohamadalzbedy@gmail.com

الخلاصة

بذل ملك انكلترا ادوارد الاول(١٢٧٢-١٣٠٧) مجهودا كبيرا من اجل منع قيام حرب في اوروبا تكون اطرافها فرنسا ومملكة اراغون الاسبانية وغيرها من الدول فضلا عن البابوية، حيث الصراع من اجل السيطرة على جزيرة صقلية الاستراتيجية التي تقع على البحر المتوسط، وكان دافع ملك انكلترا في ذلك هو رغبته بالقيام بحملة صليبية الى الاراضي المقدسة بقيادة انكلترا ومشاركة ممالك اوروبا الغربية وهذا يحتاج الى استقرار وسلام في القارة الاوربية، يمنع استنزاف مواردها التي هو بأمس الحاجة اليها للقيام بتلك الحملة، وتلك الحرب ان حدثت تؤثر على الاوضاع الاقتصادية في دوقية جاسكوني آخر الممتلكات الانكليزية في فرنسا، لذلك فان ملك انكلترا لم يدخر جهدا لمنع وقوع تلك الحرب واستطاع من النجاح في ذلك الى حد كبير.

الكلمات المفتاحية : انكلترا-الملك ادوارد الاول - صقلية- فرنسا- اراغون- اوروبا.

.**Abstract**

The King of England, Edward I (1272-1307), worked hard to prevent a war in Europe with the French and Spanish Aragon and other states as well as the papacy where the struggle for control of the Sicilian strategic island on the Mediterranean The King of England defended this by his desire to carry out a crusade to the Holy Land under the leadership of England and to share the kingdoms of Western Europe. This requires stability and peace on the European continent, in order to prevent the depletion of its resources which are in dire need of such a campaign.The Duchy of Gaskone was the last English property in France, so the King of England spared no effort to prevent that war and was able to do so to a great extent.

Key words: England- King of Edward I- Sicilian- French- Aragon- Europe.

المقدمة

ان الدراسات في تاريخ اوروبا الوسيط قليلة باللغة العربية حيث لم يسلط عليها الضوء بشكل كاف ولم تشبع احداث ذلك العصر بحثا وتحليلا.

كما ان دراسة سياسة انكلترا خارج الجزر البريطانية لها أهمية كبيرة نظرا لمكانة تلك المملكة في اوروبا والعالم في العصر الوسيط وما آلت اليه تلك المملكة بعد ذلك، وقد عد الملك ادوارد الاول(١٢٧٢-١٣٠٧) من ابرز ملوك انكلترا في العصر الوسيط ان لم يكن ابرزهم على الاطلاق اذ اتبع سياسة خارجية نقلت انكلترا الى مرتبة متقدمة لاسيما موقفه من الصراع الاوربي حول جزيرة صقلية، اذ كان لإنكلترا الدور الابرز في الحد من ذك الصراع الذي كاد يتحول الى حرب قارية.

تضمن البحث ثلاثة مباحث سبقتها مقدمة وخلفتها خاتمة، وضح المبحث الاول جذور مشكلة صقلية التي بدأت مع وفاة الامبراطور الالماني فردريك الثاني عام ١٢٥٠ وبما انه اكان اشد اعداء البابوية فقد عملت الاخيرة لإزاحة الحكم الالماني من مملكة صقلية ونجحت في ذلك، في حين بين المبحث الثاني الثورة الصقلية على حكم شارل انجو الفرنسي عام ١٢٨٢

التي اطاحت به لينتقل حكم صقلية الى الاسبان مما ولد صراعا في القارة الاوربية، وخصص المبحث الثالث لبيان وساطة ملك انكلترا ادوارد الاول بين الاطراف المتصارعة لنزع فتيل الحرب في القارة الاوربية.

اعتمد الباحث في انجاز هذه البحث على مصادر مهمة ومتنوعة ومنها الكتب الانكليزية التي اثرت البحث وزادت من رصانته ومن بينها كتاب **TRANSACTIONS OF THE ROYAL HISTORICAL SOCIETY** الذي افاد البحث بمعلوماته الوثائقية عن قضية صقلية ودور انكلترا في تلك القضية، وقد اضافت الكتب الالمانية رصيدا اضافيا للبحث ومنها كتاب **DIE GESCHICHTE DER SIZILISCHEN FLOTTE UNTER DER REGIERUNG KONRADS IV. UND MANFREDS (1250-1266)** اذ احتوت على معلومات مهمة رفدت البحث.

المبحث الاول

- مشكلة صقلية

تعود جذور تلك المشكلة الى عام١٢٥٠ عندما توفي الامبراطور الالماني فريدريك الثّاني Friedrichs II [١] وكانت جزيرة صقلية تابعة له وكان اشد اعداء البابا، وهي اكبر الجزر التي تقع على البحر المتوسط والتي يفصلها عن الجنوب الايطالي مضيق مسينة الضيق، وهي بذلك امتداد جغرافي لشبه الجزيرة الايطالية وتعود اهميتها كونها على طرق المواصلات والتجارة الرئيس على البحر المتوسط، فقد واصلت تلك الجزيرة لتكون مركزا للتنافس والصراع بين حكام أوروبا.[٢]

فبعد وفاة الامبراطور الالماني فريدريك الثّاني انتقل العرش الالماني والصقلي الى ابنه كونراد Conrad ومانفريد Manfred[٣] الابن غير الشرعي للامبراطور الالماني فريدريك الثّاني وكان عمره ١٨ سنة عند وفاة والده، وأظهر نفسه رجل دولة ومحارباً ودخل في صراع وقتال شديد مع البابوية، وحرّضَ العديد مِنْ المُدنِ على التمرّدِ على البابا ومنها بارليتا Barlett وكابوا Capua ونابولي Naples، وتقريبا كل البلاد بين غاريجليانو Garigliano و فولتورنو Volturno واستطاع السيطرة على العديد من المدن في الجنوب الايطالي باستثناء عدد قليل من المدن مثل كابوا ونابولي. [٤]

مما حذا بالبابا إنوسنت الرابع(٢٥ حزيران ١٢٤٣-٧ كانون الاول ١٢٥٤) الى ترك ليون التي كان يوجد فيها والعودة إلى إيطاليا في ربيع ١٢٥١ ، في المقابل كان كونراد عازماً على الذهاب لتفقد مملكة صقلية، وإحباط المخططات البابوية، ليصل الى الجنوب الايطالي في عام ١٢٥١ والتقى مانفريد واخذا يوسعان النفوذ الالماني هناك. [٥]

وكان من الطبيعيَ ان تسعى البابويةِ لعزل صقلية مِنْ الإمبراطورية الالمانية(الرومانية المقدسة) نظرا لذلك العداء، فقد كان البابا عازما على تخليص البابوية من أي وجود لنسل فريدريك الثاني هناك [٦] بعدّها إقطاعية من الكرسي الرسولي، فوجد في العائلة الملكية في انكلترا ما يُكرّسَ مصالح البابوية، لذلك عرض البابا مملكة صقلية لريتشارد إيرل كورنوول وشقيق الملك الانكليزي هنري الثالث(١٢١٦-١٢٧٢) لأنه يمتلك اموالاً كثيرة الا انه لم يقبل ذلك العرض. [٧]

مما جعل البابا يتجه الى ملك إنكلترا هنري الثالث وعرض العرش الصقلي لابنه ادموند البالغ من العمر آنذاك تسعة سنوات، كان هنري حينها في جاسكوني وطاب له الامر كثيرا ولَمْ يَعُدْ يستطيعُ مُقَاوَمَة جاذبية ذلك التاج واسناده لابنه [٨] لاسيما وقد صاحب ذلك تحرره من القسم الذي ادّاه سابقا بقيادة حملة صليبيةِ الى فلسطين، اذ حول البابا نذره الصليبي من الاراضي المقدسة الى إخْضاع أعداء البابا في إيطاليا. وهنا يتجلى الامر بتغليب المصلحة السياسية للبابوية على

المصلحة الدينية التي تتخذ منها البابوية الاساس في عملها، الا ان ذلك الامر لم يكن بهذه السهولة اذ توجب على الملك هنري انْ يَدْفعَ نفقاتَ الحربِ هناك. [٩]

الا ان الصعوبات الاقتصادية والسياسية التي واجهت الملك هنري الثالث آنذاك منعته من الحصول على العرش الصقلي لابنه ادموند ،مما دفع البابا الى عرض التاج الصقلي على تشارلز أنجو شقيق الملك الفرنسي لويس التاسع(١٢٢٦-١٢٧٠) وكان الأمير الفرنسي جشعا وطموحا يتوق إلى اقتناص التاج الصقلي الغني، لكنه لم يقبل رسالة الدعوة آنذاك لان شقيقه الملك الفرنسي لويس التاسع كان في الشرق واستقر في الشام بعد ان افتدى نفسه من الاسر اثر حملته الصليبية ١٢٤٨ ووقوعه في الاسر عام ١٢٥٠ وكان الفرنسيون الصليبيون يعانون وكانت فرنسا تعاني شحة في الاموال والامور غير مستقرة للمهمة الشاقة والمكلفة التي عرضها البابا عليه [١٠]

وفي حين كان البابا يكرس جهوده لنقل إدموند إلى صقلية، توفي الملك الالماني كونراد بعد اصابته بمرض الملاريا في ٢١ ايار ١٢٥٤ هو وشقيقه الاصغر هنري[١١] وكان عمره ستة وعشرين عاما، و في ظروف صعبة كان قد أثبت نفسه حاكماً ومحارباً شجاعاً، ترك وريثا هو ابنه كونرادين الطفل كان عمره سنتين اذ ولد عام ١٢٥٢، الذي كان في ألمانيا مع والدته إليزابيث، ليتم تعين وصي عليه هو الماركيز برتولد هوهنبورغ Berthold of Hohenburg، الذي سعى الى المصالحة مع البابا، اما مانفريد فقد أوصى له مصالح كونرادين الطفل دون إعطائه أي لقب خاص أو موقعاً في مملكة صقلية التي ظلت بالتالي في أيدي الألمان. [١٢]

الا ان برتولد هوهنبورغ وَجد الوصاية على العرش مهمّة صعبة، وبعد الجُهودِ العقيمةِ في المصالحةِ مَع البابا، أنهى بالتخلي عن زمام الأمور من الحكومة إلى مانفريد ، الذي قَبلَها مَع تردد ظَاهِر على الأقل. واخذ القتال بين قوات مانفريد وقوات البابا يتصاعد، في نابولي وجد الهاربون أن البابا إنوسنت الرابع قد توفي في ٧ كانون الأول ١٢٥٤ ليخلفه البابا الكسندر الرابعPope Alexander IV (١٢- كانون الاول١٢٥٤-٢٥ ايار ١٢٦١) وأظهر لأول مرة بعض الاعتدال فيما يتعلق بمانفريد التي حققت قواته نجاحات مختلفة على القوات البابوية تلك التي قادها الكاردينال أوبالديني Ubaldin ، وفى الوقت نفسه ارسلت اليزابيث أم كونرادين وعمه دوق بافاريا بعض المبعوثين من ألمانيا ليؤكدوا ان مانفريد هو الوصي على الصبي ووصي على المملكة، وذهبوا إلى البابا مع مقترحات السلام الا ان الاخير لم يتقبل ذلك.[١٣]

ومع انتشار اشاعة كاذبة بشكل مفاجيء في جميع أنحاء صقلية افادت ان كونرادين توفي، ودون انتظار للتحقق منها، دعا مانفريد رجال الدين والعلمانيين على حد سواء وفي تجمع كبير حضر من جميع انحاء مملكة صقلية توج فيه ملكا في كاتدرائية باليرمو في١٠ آب عام ١٢٥٨[١٤] واصبح الوصي على ابن أخيه كالغاصب تاجه، وهذا ما دفع مبعوث كونرادين الى القدوم إلى صقلية ليقدم احتجاجا الى مانفريد، الا ان الاخير أوضح ان سبب اقدامه على ذلك أن طفلا يعيش في المانيا البعيدة يستحيل عليه الحفاظ على الحكم في صقلية. [١٥]

ومن الاحداث المهمة آنذاك زواج ابنة مانفريد كونستانسConstance من ببيترPeter وريث عرش أراغون في عام ١٢٦٠ [١٦]، وتنصيب البابا اوربان الرابعUrban IV في ٢٩ اب١٢٦١خلفاً للبابا الكسندر الرابع الذي وفاته المنية في ٢٥ ايار ١٢٦١ ، اذ كان رجلاً فرنسياً وكان عازما على الكفاح دون كلل لمصالح الكنيسة في إيطاليا. وأرسل مبعوثه إلى البلاط الفرنسي لمعالجة مسألة استثمار تشارلز أنجو ومنحه مملكة صقلية سرا . وقد دفعت المفاوضات في فرنسا الى نشاط حتى نجحت في نهاية المطاف في التغلب على تردد لويس التاسع، وبدأوا في مناقشة الشروط التي

بموجبها تشارلز أنجو سوف يحصل على التنصيب والاستيلاء على مملكة صقلية، الامير الفرنسي كان يرنو نحو الذهب والسلطة الا ان الامر لم يتم حسمه آنذاك اذ ضلت المفاوضات بين شد وجذب. (١٧)

في المقابل كان الإيطاليون يرغبون في تغيير السياسة والانضمام إلى مانفريد، ولكن الكرادلة الفرنسيين كانوا عازمين على اتباع المسار الذي اتبعه اوربان الرابع وكانوا متفوقين بالأعداد. (١٨) لذلك انتخب الفرنسي غي Guy كاردينال سابينا Sabina ورئيس أساقفة ناربونNarbonne لمنصب البابا في ٥ شباط عام ١٢٦٥ بعد شغور الكرسي الرسولي اربعة اشهر وأخذ اسم كليمنت الرابعClement IV وابرم بسرعة معاهدة مع تشارلز أنجو اذ تقرر فيها القيام بحملة عسكرية يقودها تشارلز أنجو ضد مانفريد. (١٩)

وبالفعل استطاع تشارلز أنجو من تحقيق اهداف البابوية بإزاحة الحكم الالماني من صقلية اذ استطاع من هزيمة مانفريد في معركة بنيفنتوBenevento في٢٦ شباط ١٢٦٦ (٢٠) ثم اعقبه بانتصار آخر بعد اكثر من سنتين بهزيمة كونرادين في معركة تاجلياكوزوTagliacozzo في ٢٣ آب ١٢٦٨ ليصبح سيد صقلية دون منازع. (٢١)

المبحث الثاني

- الثورة الصقلية ١٢٨٢

ظلت مملكة صقلية يحكمها تشارلز أنجو بدعم من البابوية و فيليب ملك فرنسا، واتسم ذلك الحكم بالابتزاز والقسوة مدة ستة عشر عاماً مروعة ١٢٦٦-١٢٨٢. (٢٢) اذ ذهب إلى الإفراط في السعي لتحقيق احلامه فقد سعى للاستيلاء على التاج الإمبراطوري في ألمانيا، وحاول ازاحة الإمبراطور اليوناني من عرشه، وإقامة إمبراطورية مستقلة على السواحل الشرقية للبحر المتوسط، وفي ١٢٧١ استولى علي مملكة ألبانيا وفي ١٢٧٧ اشترى لقب "ملك القدس". مع بداية الثمانينيات من القرن الثالث عشر كان يخطط للاستيلاء على مدينة القسطنطينية، وكلما كان يتوسع شرقا كان يهمل ويسيء لجوهر سلطته اذ أخضع تشارلز صقلية لأقسى الإجراءات، اذ فرضت الضرائب بمبالغ أكبر من أي وقت مضى ومعاقبة الهاربين من سطوته بالقتل والتهديد بالانتقام ضد زوجاتهم وأطفالهم. (٢٣)

فكانت الغطرسة والقسوة التي تعامل بها الفرنسيون مع رعاياهم الجدد دفعتهم للثورة وكانت شرارة الثورة قد اندلعت يوم الاثنين يوم عيد الفصح ٣٠ آذار ١٢٨٢، اذ اعتاد سكان مدينة باليرمو الذهاب إلى الى صلاة الغروب في كنيسة مونتر يال Montreale التي تقع على مسافة نصف ميل من المدينة تقريبا، وكَانتْ الأجراس تَدْقُّ لصلاةِ الغروب، وكان العديد من المواطنين يحشدون الطريق إلى الكنيسة، في حين أن آخرين يجمعون الزهور، وفي تلك اللحظة اعترض عسكري فرنسي يدعى درويتDrouet سيدة نبيلة شابة كانت ذاهبة إلى الكنيسة مع والديها وعريسها بحجة البحث عن الاسلحة. فأغمي على الفتاة وسقطت على ذراع عريسها، و ورفعت الأسلحةِ على عريسِها، عندئذ سارع أقاربها إلى مكان الحادث ساخطين، واخذ الحماس الناس المارين فقتل درويت وارتفعت الصرخات الموت للفرنسين(٢٤) وفي لحظة سحبت الآلاف من الخناجر الخفية وآلاف من العيون كانت تبحث حول ضحايا الانتقام وأصبحت عمليات ذبح الفرنسين هي السائدة من قبل سكان باليرمو الغاضبين يدفعهم لذلك عامل الكره والحقد ضد الوجود الفرنسي هناك. (٢٥)

من باليرمو انتشرت الثورة بسرعة على الجزيرة بأكملها، في مدينة لاتانيا Latanea وحدها فقد ٨٠٠٠ من الفرنسيين حياتهم. ومن أجل التعرف على الفرنسين كان كل شخص غير معروف يجبر أن ينطق كلمة "سيسيري"" ciceri" والتي تعني (البازلاء) كان من المستحيل على الفرنسين نطقها بشكل صحيح. وفي تاورمينياTaormina لجأ العديد من الفرنسيين الى هناك فتكررت مشاهد القتل نفسها في لاتانيا. وفي ميسينا Messina التي تحتفظ بحامية فرنسية قوية كانت آخر

مدينة اندلعت فيها الثورة قتل فيها ٣٠٠٠ فرنسي. وقدر أن ٠٠٠ ٣٠ فرنسي قتلوا في تلك المذبحة نتيجة الانتقام الشعبي.(٢٦)

في نهاية نيسان من عام ١٢٨٢ كانت صقلية حرة، تشارلز أنجو كان يقيم في روما مع البابا عندما تلقى أخبار هذا الحدث المروع واصبح في حالة غضب شديدة وأقسم على الانتقام من سكان صقلية، وأعلنَ البابا الحرمان على البلاد كاملة، وجهز تشارلز على الفور أسطولاً قوياً و أبحر إلى ميسينا، التي حاصرها طويلا ولكن دون جدوى لأن السكان هناك ادركوا ما سيؤول له مصيرهم في حال غزوهم، وبذلوا جهود فائقة لصد كل هجوم على مينائهم.

وجاءت تلك الثورة بعد أسبوع واحد فقط من انتفاضة مماثلة ضد الاحتلال الانكليزي لويلز، لكن الصقليين لم يكونوا وحدهم كما كان الويلزيون، بل على العكس من ذلك، كانوا مدعومين من تحالف دولي من الساخطين، وجميعهم كان حجته كبح صعود قوة تشارلز، فكان الإمبراطور اليوناني باليولوجوس Palaeologus إمبراطور القسطنطينية خائفا على أمنه، فقدم الإعانات ووعد بتوفير الأسلحة إلى بارونات صقلية. (٢٧)

ولكن الاهم هو ملك اراغون بيتر الثالث الذي اعتلى العرش عام ١٢٧٦ (٢٨)ملك المملكة الثانية الأكثر أهمية في إسبانيا، زوج الملكة كونستانس من السلالة المتبقيه من الهوهنشتوفين التي تعد نفسها الوريثة الاحق لحكم صقلية، وفي غضون أسابيع قليلة من الثورة أبحر بيتر من إسبانيا لمساعدة سكان صقلية في نضالهم ودعم مطالبة زوجته، في ١ ايلول عام ١٢٨٢ وصل إلى باليرمو على رأس قوة تتألف من ٣٠٠٠٠ من المحاربين ، وسط ترحيب كبير من السكان ، وفور وصول ملك اراغون اعلن نفسه ملكا على صقلية وأقسم يمين الولاء، وارسل الملك بيتر الاميرال الشجاع روجر لوريا Roger Loriaميسينا عبر البحر، في حين ذهب جيشه برا الى هناك لمساعدة سكان تلك المدينة في كفاحهم ضد تشارلز. (٢٩)

في ظل تلك الظروف اقتنع تشارلز بالتخلي عن حصار ميسينا Messina ، اذ اصبح جزء كبير من جيشه غير منظم، فأخذ العديد منهم السفن وأبحروا إلى ريجيو Reggio (٣٠) وتراجعوا إلى ساحل كالابريا Calabria ولكن بالقرب من كارتونا Cartona وإيغيو Eeggio تجاوز الاميرال روجر لوريا أسطوله وأحرق جميع سفن تشارلز وعددها ثمانون سفينة، ليقف تشارلز على الساحل ودموع الغضب في عينيه، فقد ارغمَ على مشاهدة دمارِ أسطوله و جزء كبير مِنْ جيشِه. (٣١)

من تلك اللحظة فقد تشارلز جزيرة صقلية، بينما ملك اراغون بيتر الثالث تعززت قوته في ممتلكاته الجديدة. على الرغم من محاولات تشارلز للقيام بحملة جديدة لاسترجاع صقلية لكن تلك المحاولات باءت بالفشل. (٣٢)

المبحث الثالث

- **وساطة الملك ادوارد الاول**

اصبحت انكلترا في اوج قوتها بعد اخضاعها ويلز والسيطرة عليها عام ١٢٨٣ و بلغ إدوارد الأول آنذاك ذروة شهرته وقام بإصلاح الإدارة وقدم نفسه بوصفه مشرعاً من الطراز الاول ووضع إنكلترا في مكانة مهمة في أوروبا.

وكانت رغبة الملك ادوارد الاول هو الذهاب مرة اخرى الى فلسطين لكن العقبة التي اعترضت حملة صليبية جديدة في عام ١٢٨٤ ليست عقبة مالية ولا طوعية بل سياسية، اذ كان إدوارد بالكاد يمكن أن يقود تحالفاً مسيحياً كبيراً مع ملوك أوروبا الغربية الذين كانوا على وشك حافة الحرب بعضهم مع بعض(٣٣)، فضلا عن ان تلك الحرب لها مضار على انكلترا بتأثيرها غير المباشر على ثروات جاسكوني، وما ينعكس على الاوضاع الداخلية فيها سلبياً. (٣٤)

وكان السبب المباشر لقرع طبول الحرب في القارة الاوربية مرة اخرى هي صقلية، وكان تدخل ملك أراغون حافزاً لتدخل ملك فرنسا فيليب الثالث ابن اخ تشارلز أنجو نصرة لعمه، وقد حذر ملك اراغون سابقاً من ان اي اجراء يتخذ ضد صقلية سيعد هجوما على فرنسا نفسها، الا ان الملك بيتر الثالث تجاهل ذلك التحذير الذي هدد بحرب جديدة عبر البرانس، وقيام أزمة دولية في القارة الاوربية. (٣٥)

كانت روما تعد صقلية منذ مدة طويلة حكرا لها او ارضها المحمية(فهي الطريق الى الارض المقدسة) كان البابا ولا أحد آخر (بالتأكيد ليس الصقليين) الذين ينبغي أن يقرر من يحكم هناك، وكان تشارلز أنجو منذ مدة طويلة المرشح البابوي المعتمد، على امتداد تعاقب البابوات، فالبابا مارتن الرابعMartin IV (٢٢ شباط ١٢٨١– ٢٨ آذار ١٢٨٥) الذي كان فرنسيا(٣٦) ابدى رغبته الشديدة لتقديم يد العون ودعم المطالب الفرنسية في استعادة الجزيرة، فقد جدد قرار الحرمان والطرد بحق ملك أراغون بيتر الثالث في اسبانيا وصقلية على حد سواء بلغة أكثر قوة وحدة(٣٧) ، أي أنه أعلن أن الملك لا ينبغي أن يحكم أكثر واوعز للفرنسيين لتنفيذ الحكم، وعرض تاج أراغون للابن الباقي على قيد الحياة للملك الفرنسي فيليب الثالث الا وهو تشارلز فالوازCharles of Valois بشرط ألا يكون متحدا مع فرنسا، تم قبول العرض في ١٢٨٤ ، وبدأ فيليب الثالث بتحشيد جيشه وأسطوله لمهاجمة جارته الجنوبية اراغون وبُجلت تلك الحملة باسم حملة صليبية. (٣٨)مع بداية عام ١٢٨٥ جمعت مخازنه على ساحل البحر المتوسط، وهيئت سفنه للإبحار وحشد جيش من ٨٠٠٠ رجل على استعداد للمسير.

في المقابل بذل الملك إدوارد قصارى جهده لثني الصراع المتصاعد، لاسيما وان اطراف الصراع طلبوا من ملك انكلترا المساعدة بحكم العلاقات التي كانت تربطهم معه ،اذ عد بيتر أراغون الملك الإنكليزي صديقاً (لسنوات كانوا يخططون لحفل زواج ابنائهم الأكبر سنا) في حين ادعى فيليب الثالث ولاء إدوارد له بعدّه قريب(ابن خالته)، وأكثر من ذلك كلورد وسيد له بوصفه دوق لجاسكوني، والأكثر إثارة للقلق من كل شيء كان البابا مارتن قد عين الحرب ضد أراغون على أنها حملة صليبية. كان إدوارد قادرا في السابق على تقديم اعتذاره إلى الاطراف الثلاثة، موضحا أنه كان مشغولا بتمرد رعاياه في ويلز، ولكن في بداية عام ١٢٨٥ واجه اثنين من البدائل غير نافعين على حد سواء بالنسبة له، إما أنه يمكن أن يسيء إلى جانب واحد عن طريق دعم الآخر، أو أنه لا يمكن أن يفعل شيئا، ومشاهدة تبديد أموال البابوية الصليبية في حرب بين الملوك المسيحيين في أوروبا.(٣٩)

ولم يكن الملك ادوارد يميل للقتال بالتأكيد ولم تكن طبيعته التنحي جانبا وعدم فعل شيء، والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة ما الذي ينبغي عليه عمله بشأن الصراع الوشيك في القارة؟.

بحلول بداية العام الجديد قرر الملك مسار عمله، وكان ذلك القرار التدخل شخصيا لوقف الحرب، في أوائل كانون الثاني ١٢٨٥ غادر إدوارد بريستول بسرعة وانتقل شرقا عبر جنوب انكلترا بعد زيارة عابرة إلى لندن، توجه إلى دوفر اذ كان يعتزم العبور إلى فرنسا، ومن المقرر ان تكون زيارة قصيرة للاجتماع مع فيليب الثالث من اجل الحديث حول عزم الاخير غزو مملكة اراغون، الا انه أصيب بخيبة أمل فبحلول منتصف شباط كان الملك قد غادر كينت إلى شرق أنغليا اذ تغيرت وجهة الرحلة، فبعد عدة أسابيع من الانتظار تلقى اشعاراً من فيليب ابلغه فيه بعدم الحضور، ورفض إدوارد تقديم التماس إلى الملك الفرنسي شخصيا. (٤٠)

ومما لا شك فيه أنه شعر بالإحباط بسبب عدم قدرته على التدخل، لكنه ما يزال يأمل في أن الحرب لم تكن حتمية بعد، استدعى إدوارد برلمانا للاجتماع في ايار١٢٨٥ وبعد أن قام الملك وبرلمانه بإعادة هيكلة فعلية لمسيرته السابقة، كان

الوضع في أوروبا له الاولوية ومسألة ما إذا كان إدوارد دوق جاسكوني، ملزما حقا بالرد على الاستدعاء العسكري لملك فرنسا، وكما هي الحال بالنسبة لمعظم جوانب علاقتها المعقدة، لم يكن هناك إجابة معينة، ولكن سكان جاسكوني أنفسهم كانوا قلقين للغاية حول ذلك، فقد أرسلوا طلبا إلى إدوارد مؤكدين الأخطار والاذعان الذي سيترتب عليه دون شك في حال انضمامه إلى الطلب الفرنسي، ولا شك أن العديد من الاعيان الإنكليز مثل الملك نفسه رأت أيضا مثل هذا الاحتمال مع عدم ارتياح كبير. ولذلك فقد تقرر الرد بعبارات غير مؤكدة، وقبل نهاية ايار أرسل سفراء إنكليز إلى باريس للنقاش، الذين أخذوا معهم رسالة مفادها أن عرض إدوارد للعمل محكماً بين فرنسا وأراغون ما يزال قائما[٤١].

الا انه في صيف ١٢٨٥ وصلت الاخبار الى انكلترا ان فرنسا بدأت غزوها لأراغون، فلم يكن وفاة تشارلز أنجو الذي حدث في فوجياFoggia في ٧ كانون الثاني ١٢٨٥ [٤٢] ولا وفاة البابا مارتن الرابع في آذار من ذات العام كافيا يثني عزيمة فيليب الثالث، وكان وصول سفراء الملك إدوارد متأخرين جدا، ففي الوقت الذي وصلوا فيه إلى باريس كان الملك الفرنسي وجيشه يعبرون جبال البرانس، من خلال هذا العمل الفرنسي يبدو أن الخطط الإنكليزية لشن حملة صليبية جديدة تعرضت لخطر لا يمكن إصلاحه. [٤٣]

ولكن حملة فيليب الثالث فشلت وكَانَ قَدْ طُرِدَ من كاتالونيا Catalonia بشكل غير مشرّف، فقد دمّر الأدميرال الأراغوني روجر دي لوريا أسطوله الذي كان راسيا في ناربونNarbonne ، والملك نفسه طرد من اسبانيا مع بذور حمى الطاعون، التي ادت الى وفاته في السنة السادسة عشرة من حكمه والحادية والأربعين من عمره[٤٤] في بيربينيان Perpignan في ٥ تشرين الاول ١٢٨٥. [٤٥]

يذكرنا ذلك بوفاة والده لويس التاسع عام ١٢٧٠ اذ كان مشابها له تماما اذ توفي فيليب بذات المرض في خضم جيش مريض ومهزوم وهو يقود حملة صليبية باءت بالفشل لكن هذه المرة ليس ضد المسلمين انما ضد اعداء البابا الاوربيين. في المقابل كان ذلك نصرا جيدا لملك أراغون بيتر الثالث الذي تنفس الصعداء الا انه لم يتسنَّ له الاحتفال به طويلا اذ وافته المنية في تشرين الثاني ١٢٨٥.[٤٦] ليخلفه ابنه الفونسو الذي توج ملكا على اراغون في سرقسطة. وحمل اسم الفونسو الثالث[٤٧] في حين الابن الثاني للملك اراغون الراحل واسمه جيمس توج ملكا على صقليا في باليرمو. [٤٨]

وهكذا وبحلول عيد الميلاد من عام ١٢٨٦، عرف إدوارد أن جميع الأطراف الأربعة في العداء الأوروبي الكبير قد ماتوا. ولكن الصراعات التي شارك فيها هؤلاء الملوك كانت مستمرة عند خلفائهم. قبل كل شيء فإن صراعات صقلية لا تزال محتدمة. فخلفاء البابا مارتن الرابع رغم حرمانهم من الدعم النشط من فرنسا لم يتخلوا عن قضية الامير تشارلز ساليرنو الأسير.[٤٩] الابن الوريث لتشارلز انجو والذي اسر في حزيران ١٢٨٤ اثر معركة بحرية قصيرة قبالة ساحل نابولي بين أسطول أراغوني بقيادة الأدميرال روجر دي لوريا وقوات المعزول من صقلية تشارلز أنجو لم يكن الاخير حاضرا في تلك المعركة ولكن ابنه الوريث كان حاضرا، وكان النصر قد ذهب إلى أراغون بشكل حاسم. [٥٠]

وكان جيمس أراغون الابن الثاني لبيتر قد حافظ على صقلية على الرغم من اللوم البابوي إن الكراهية الشخصية، التي جعلت من المستحيل التوفيق بين الجيل الأكبر سنا، قد انتقلت الى ابنائهم، وكانت العقبة الرئيسة في طريق التسوية هي عناد البابوية إذا كان هناك احد يمكنه توفيق وتسوية هذه الخلافات، كان ملك إنكلترا الذي كان حريصا على تقديم خدماته كصانع سلام. [٥١]

ففي كانون الاول ١٢٨٥ أرسل مبعوثه أوثو دي غراندیسونOtho de Grandison إلى روما في مهمة إلى البابا هونوريوس الرابعHonorius IV.(٢ نيسان ١٢٨٥– ٣ نيسان ١٢٨٧) وكان عمله الأول بدون شك التحقق بشكل اساسي

من نية البابوية في قضية صقلية، واعطي تعليمات من الملك ادوارد الاول لحث البابا لتأمين تسوية مبكرة بين الاطراف المتنازعة من اجل المصلحة العامة للمسيحية، غادر الملك إدوارد نفسه إنكلترا الى جاسكوني في بداية شهر ايار ١٢٨٦ ، وهناك عاد غرانديسون الى الملك لإبلاغه عن ما تمخضت مهمته التي يبدو انها كانت محدودة النتائج لكنها كانت محاولة لترطيب الاجواء لما هو قادم. (٥٢)

وبناءً على ذلك في ١٣ ايار من ذلك العام ابحر الملك ادوارد من جاسكوني الى فرنسا بصحبة زوجته إليانور مع وفد كبير من المستشارين والمقربين، منهم مستشاره المطران روبرت بورنيل وفيسي وأوثو دي غرانديسون فضلا عن عدداً من الإيرليات مثل إيرل لينكولن وشقيقه إيرل لانكستر ادموند وخاله وليام دي فالينسيا، حتى جيلبرت دي كلير إيرل غلوسستر قد وافق على مرافقة البلاط الملكي على الأقل الي باريس، هؤلاء الرجال وحضورهم جنبا إلى جنب مع الموظفين من الأسرة الملكية، جعلت مجموع الوحدات ترقى إلى أربعة مجاميع، استغرق الأمر عدة أيام لنقلهم جميعا، وما لا يقل عن ١٠٠٠ حصان عبر القناة الانكليزية، وتجهيز ثماني سفن لشحن معدات المطابخ فقط، في حين عهد وصاية عرش انكلترا الى حين عودته الى ابن عمه إدموند إيرل كورنوال.(٥٣)

وصل موكب البلاط الملكي الانكليزي أولا إلى أميان، اذ استقبلهم الملك الفرنسي الجديد فيليب الرابع الذي توج حديثا خلفا لأبيه فيليب الثالث ، كان ما يزال في عمر سبعة عشر عاما فقط عند تتويجه. (٥٤)، بَدا الملكَ الفرنسيَ الجديدَ منسجم إلى حدّ معقولِ مَع الملك ادوارد، ومن آميان تحركا بسرعة إلى باريس، حيث ظل البلاط الإنكليزي لعدة أسابيع هناك، سَكنَ على الضفة اليسرى لدير القديس جيرمان دي بريGermain-des-Prés طول مدة إقامتهم، وكانت هناك رحلات متكررة في القارب للملك إدوارد عبر نهر السين لزيارة فيليب في قصره في اللوفر وقد اتخذ كل هذا دليلا جيدا على أن العلاقات تم الحفاظ عليها وتطويرها ، ولكن من المرجح أيضا أن تكون مدة الزيارة التي استمرت شهرين وتواتر الاتصال نتيجة للمفاوضات الشاقة التي تجري على جبهتين، في المقام الأول كانت هناك مسألة حساسة للعلاقة بين المملكتين الا وهي جاسكوني التي تتطلب تجديدا آخر. (٥٥)

وبالفعل في ٥ حزيران ١٢٨٦ اقسم الملك إدوارد يمين الولاء للملك الفرنسي لكُلّ الأراضي التي يحتفظ بها في جاسكوني،(٥٦) الا ان الموقف الإنكليزي هذه المرة كان أكثر وضوحا، من أن فرنسا لم تف بالتزاماتها بموجب معاهدة باريس و أن حقوق إدوارد كان قد هددها الفرنسيون هناك، لذلك أثمرت المفاوضات بين الطرفين عن ابرام اتفاق جديد قدم فيه فيليب الرابع تنازلات لإدوارد من سلطته القضائيةَ كسيّد أعلى، وأيضا فيما يتعلق بالأراضي التي وعد بها الملك الإنكليزي بموجب معاهدة سلام طويلة الأمد، وقد تم الاعتراف أخيرا بحقوق إدوارد في سينتونج Saintonge ، جنوب شارنتCharente (أي المنطقة المحيطة بسينتيس Saintes، وهي بلدة تقع على الحدود الشمالية لجاسكوني)، في حين وافق إدوارد من جانبه على ترك سيطرته علي كيرسيQuercy، وهي منطقة تقع شرق الدوقية، مقابل مبلغ من المال يدفع له سنويا مقداره ٣،٠٠٠ لتر تويرنواز (٧٥٠ جنيه استرليني)، وكانت هذه التسوية أسهل اذ تكمن مصلحته العليا في جاسكوني. (٥٧)

اما مسألة السلام بين فرنسا وأراغون فأكثر صعوبة وكان عمل إدوارد الرئيس هو تحقيق السلام بين أنجو وأراغون وفيليب الرابع. ، وبعد عدة أسابيع من المفاوضات، نجح في ترتيب هدنة، بعد أن تم تفويضه من قبل كل من فيليب الرابع وسفراء أراغون، بوضع هدنة تبدأ في اب١٢٨٦ وتستمر حتى ايلول من العام التالى، كان هذا على الأقل

بداية جيدة أعطى للملك ادوارد أكثر من اثني عشر شهرا للتوسط في حل أكثر حسما ، وبعد ذلك بوقت قصير ذهب إلى بوردو فقد جعل جاسكوني مقرا له لمدة ثلاث سنوات، وسعى جاهدا لتحويل الهدنة إلى سلام دائم. (٥٨)

الا ان ذلك السلام كانت تعترضه عقبات كبيرة، وكان من أهمها تصميم البابوية على عدم وجود شروط في أي معاهدة مع ملك أراغون ما دام شقيقه ما يزال يحكم صقلية. بالرغم من ان البابا هونوريوس الرابع وافق على عمل إدوارد الأولي، وحثه على الحصول على تحرير أمير ساليرنو، ولكن في الوقت نفسه حذره من الاعتراف بالإنشقاقيينِ من الارغونيين، نفسه إدوارد لم يكن يقف وينحاز الى أي طرف من الجانبين، وكان حريصا بشدة على السلام ورغبة في تحرير قريبه شارلز سالرينو من قسوة سجنه الطويل، في حين كانت رغبته في تحالف وثيق بين انكلترا وأراغون لا يحظى بقبول البابا هونوريوس الرابع(٥٩).

ترك البلاط الإنكليزي أخيرا العاصمة الفرنسية في نهاية تموز ١٢٨٦ وكانت وجهتهم المقبلة جاسكوني وقام الملك بزيارة بونتيجني على الطريق ثم استقر في بوردو،(٦٠) وظل يتنقل في المناطق القريبة منها، لم يكن أحد أكثر قلقا من إدوارد لتسوية المشاكل الكبرى في أوروبا، ولكن عجلات الدبلوماسية الدولية تسير ببطء، ليس أقلها بسبب المسافات المعنية، استغرق الأمر أسابيع وتصل إلى أشهر للرسائل والسفراء عبر جبال البرانس إلى أراغون أو عبر جبال الألب إلى روما. وعندما وصل الملك في اوائل كانون الثاني ١٢٨٧ إلى بوردو كانت هناك بعض المحادثات الأولية مع وفد أراغوني ولكن بمجرد مغادرتها ركز إدوارد اهتمامه بالضرورة على جاسكونى التي كالمعتاد لديه مشاكل خاصة بها. (٦١)

وظلت المفاوضات مع أراغون مستمرة بإرسال البلدين للوفود، ثم تحرك بلاط الملك الانكليزي وكانت وجهتهم أولورون Oloron، وهي بلدة كبيرة على اقصى جنوب سلطة إدوارد تبعد ٢٠ ميلا عن قمم جبال البرانس، ووصل البلاط الإنكليزي إلى هناك بحلول ١١ تموز ١٢٨٧ ووَصل بعد أيام قليلة بلاط مملكة أراغون الى هناك ، وكان إدوارد قد رحب بالملك ألفونسو الثالث ، وجلب الملك الإنكليزي مَعه بَعْض الرجال الويلزيين من أجل الإعلان عن مدى سلطته وقوته، في المقابل الملك الاسباني قد احضر العديد من التابعين له من حدوده البرية.(٦٢) وقد اتسم اجتماعهم بنوع من الاحتفالات التي رافقت هذا الاجتماع الملكي واستمرت عشرة أيام مقسمة بين حفلات الرقص والطعام والشراب وتبادل الهدايا، لكن الملك ادوارد لم يغفل سبب قدومه إلى أولورون وهو ضمان الإفراج عن ابن خالته تشارلز ساليرنو. (٦٣)

وكان ملك انكلترا يرى انه ما لم يصبح تشارلز رجلاً حراً لن يكون هناك سلام أوروبي دائم، ومن جانبه أعرب ألفونسو عن سعادته بالنظر في طلب إدوارد، لكنه أوضح أنه سيحتاج إلى الكثير في مقابل ذلك، ليس جشعا حسب ادعائه انما هو أفضل ضمان لأراغون ضد العدوان الفرنسي والبابوي في المستقبل، وعلى هذا الاساس جرت المفاوضات بين الطرفين حتى وقعا على معاهدة أوليرون في ٢٥ تموز ١٢٨٧ من اجل اطلاق سراح تشارلز سالرينو وفق شروط هي:-

- تسليم ثلاثة من أبناء تشارلز سالرينو ليكونوا رهائن بما في ذلك وريثه الاكبر سنا.
- تسليم ستين نبيلا من مقاطعة بروفانس الفرنسية ليكونوا رهائن يحتجزون في اراغون . (٦٤)
- دفع مبلغ مالي لملك اراغون مقداره ٥٠،٠٠٠ مارك، ٣٠،٠٠٠ نقدا و ٠٠٠ ٢٠ بشكل آجل، على ان يكون ملك انكلترا الضامن لدفع ذلك المبلغ.
- اقامة هدنة لمدة ثلاث سنوات بعد إطلاق سراح أمير ساليرنو، بشرط على أن يقوم الأخير في السنوات الثلاث بالعمل على موافقة كنيسة روما والملك فيليب الرابع من اجل عقد معاهدة سلام يُعترف فيها بألفونسو ملكاً لاراغون و شقيقه جيمس ملكاً على صقلية، وفي حالة عدم تنفيذ هذه المعاهدة فان على تشارلز ساليرنو تسليم نفسه لآسريه السابقين من

جديد، أو خسارته لمقاطعة بروفانس لمصلحة اراغون.[٦٥] وسعى الملك ادوارو الاول على تمتين العلاقات مع ملك اراغون عندما وافق على خطبة ابنته الياناور التي جلبها معه هناك من الفونسو الثالث ووعد أيضا بطلب الإذن البابوي لمباركة ذلك الزواج. [٦٦]

وكانت الموافقة البابوية هي النقطة التي تمحورت حولها الصفقة برمتها، ما أراده ألفونسو الثالث بإقامة حلف مع ادوارد كان موضع ترحيب مرة أخرى من الأمراء الأوروبيين، لكنه كان مصمما أيضا على الإبقاء على صقلية، وكان شرطا أساسيا لمعاهدة أولورون أن فرنسا والبابوية يجب أن تعترف بحقه في الجزيرة، في أي ظرف من الظروف فإن سفراء إدوارد سيواجهون صعوبة في إقناع كلتا السلطتين بقبول نتائج الوساطة الانكليزية، ولكن في صيف عام ١٢٨٧ عندما عقدت المعاهدة كانت هناك مشكلة أكثر جوهرية وهي عدم وجود بابا منتخب في روما اذ كان البابا هونوريوس الرابع قد توفي في ٢ نيسان ١٢٨٧ والكرادلة لم تتفق بعد على من ينبغي أن يكون خلفه، وكان هذا هو حجر العثرة الكبير أمام السلام على المدى القصير، فلا يمكن أن تكون هناك موافقة البابوية او رفضها ما لم يكن هناك بابا.[٦٧]

ومع تحول الخريف إلى فصل الشتاء، بدأ الأمل في قلب الملك ادوارد لتسوية مبكرة لشؤون أوروبا يتلاشى، وكان جزء من المشكلة فيليب الرابع، فبعد أن أعطى إدوارد حرية التفاوض رفض الملك الفرنسي الحكم الذي يقضي بأن تحتل أراغون بروفانس إذا لم ينشأ السلام، ومع ذلك فإن العقبة الرئيسة تتمثل في استمرار شغور عرش القديس بطرس، وفي تشرين الثاني ١٢٨٧ كتب الكرادلة إلى إدوارد يثنون ويثمنون جهوده تلك، ولكن قبل أن تصل إليه هذه الرسائل كان الملك قد خلص بالفعل إلى أن تشارلز ساليرنو لن يطلق سراحه في ذلك العام، وفي ٢١ تشرين الثاني توجه إلى شمال بوردو، فقد بقي البلاط الإنكليزي لعيد الميلاد، في حين كانت مسألة البابا الجديد والسلام والحملة الصليبية المرتقبة جميعها بقيت معلقة . [٦٨]

وأخيرا في ربيع عام ١٢٨٨، تلقى إدوارد أخبارا من روما تفيد بانتخاب الكرادلة بابا جديد بعد ان تم تعليق اجتماعهم السري لانتخاب البابا لمدة عشرة أشهر و يومين وأعطوا تصويتهم بالإجماع لمصلحة جيروم Jerome أسقف براسنيست Prasneste وحمل اسم نيكولاس الرابع Nicolas IV الذي اعتلى العرش البابوي في ٢٢ شباط ١٢٨٨ [٦٩] الا انه قرر على الفور رفض معاهدة أولورون واصر على تحرير ابنه العزيزِ في السيد المسيح تشارلز سالرينو حسب وصفه من دون شروط، ورأى ان البابوية يجب ان يكون نصرها بشكل مطلق. [٧٠]

ولم تقتصر اجراءات البابا نيكولاس الرّابع عند هذا الحد فقد كان يتصرف بغطرسة وتعالٍ، اذ طَلَب مندوبوه من ألفونسو الثّالث الإطلاق الفوري لأميرِ ساليرنو الذي كان محتجزا في برشلونة وعلى ألفونسو نفسه المثول أمام البابا خلال ستة أشهر، والامتناع عن مساعدة شقيقه جيمس في صقلية، وكان كل ذلك كافيا لإفشال معاهدة أولورون. [٧١] وفي ظل تلك الظروف تم حث ملك إنكلترا على العثور على بعض الوسائل الأخرى للإفراج عن الأمير الاسير. [٧٢]

وفي بداية شهر حزيران ١٢٨٨، قرر الملك الإنجليزي والوفد المرافق له للمرة الثانية السير في رحلة طويلة إلى الجنوب، عازما على إيجاد طريق جديد للخروج من المأزق الدبلوماسي، وبحلول نهاية الشهر عادوا إلى أولورون، ومن المؤكد أن المراسلات مع أراغون كانت أكثر صعوبة، ومهما كانت المناقشات التي جرت في أولورون أثبتت أنها كانت فاشلة ،ففي نهاية تموز تراجع إدوارد إلى كاتدرائية صغيرة في مدينة ليسكار Lescar ، التي تبعد نحو ١٥ ميلا إلى المنطقة الشمالية الشرقية لأولورون، وفي ايلول ١٢٨٨ التقى الملكان وجها لوجه لاجتماعهما الثاني في أراغون، بعد ان استقبل الملك الإسباني البلاط الانكليزي في مدينة جاكا Jaca الجبلية، وكان الطريق الوحيد للمضي قدما هو أن يتحمل إدوارد المزيد

من المسؤولية عن أمن[٧٣] الصفقة وتكرر عرضه السابق بدفع المال، وعلاوة على ذلك وافق الملك الانكليزي على تقديم بعض رجاله رهائن مؤقتين، حتى يمكن الاستعاضة عنهم بالرهائن الذين يتبعون تشارلز ساليرنو، وفقا لذلك في أوائل خريف١٢٨٨ اضطر الملك إدوارد إلى القيام برحلة طويلة أخرى ذهابا وإيابا عبر جبال البرانس من أجل تجميع الرهائن المطلوبين. [٧٤]

في نهاية المطاف اجتمع البلاطين في ٢٨ تشرين الاول ١٢٨٨ وعقدت معاهدة جديدة في كانفرانك Canfranc وهي بلدة صغيرة في اراغون، وتجنب الملك ادوارد والملك ألفونسو والامير تشارلز سارلينو الحديث عن مملكة صقلية، في حين أن العبء الاكبر وقع على عاتق الملك ادوارد من اجل تامين اطلاق سراح الامير الاسير، فدفع لملك اراغون ٢٣،٠٠٠ مارك نقدا، مع التزامات عرضية التي قد تصل إلى ما مجموعه ٧٠،٠٠٠ مارك أي بحدود (٦٦٦و ٤٦ جنيه استرليني) وتم تسليم ما لا يقل عن ست وسبعين رهينة، من بينهم عدد من كبار أعضاء البلاط الإنكليزي وهم إيرل لينكولن وجون بريتانيJohn of Brittany وغاستون دي بيرن ، ومن جانبه تعهد تشارلز سارلينو مرة اخرى بإقامة السلام مع كنيسة روما وفيليب الرابع وتشارلز فايلوز، وأقسم أنه إذا لم يتم السلام سيعود إلى سجنه، ووفقا للاتفاق السابق اصبح ثلاثة من أبناء تشارلز ساليرنو رهائن لدى ملك اراغون، وبهذه الشروط اطلق سراحه. [٧٥]

ذهب تشارلز ساليرنو مباشرة إلى روما، اذ ان البابا نيكولاس الرابع بَرّأَه من قَسَمِه وتوجهه ملكاً على صقلية. [٧٦]وألغى تماما معاهدة كانفرانك وشجعه على تجديد الحرب مع جيمس أراغون. كان ملك انكلترا بطبيعة الحال ساخطاً جداً لخرق حسن النية، لذلك أرسلَ أوتو دي غراندیسون الى روما للاحتجاج على البابا نيكولاس الرابع لتحريكه صراع جديد بين المسيحيين في الوقت الذي كان فيه الصليبيون في فلسطين على وشك كارثة هائلة. [٧٧]

وبالرغم من ذلك لم يكن لإدوارد والوفد المرافق له سوى الانتظار والترقب للحصول على بقية المال واستبدال الرهائن ، لذا امضى ادوارد أشهر الشتاء في جنوب دوقيته، وكان قد أعطى تشارلز ساليرنو ثلاثة أشهر للعثور على رهائنه الخاصة، وفي شباط ١٢٨٩ بدا أن الموعد النهائي قد انتهى، وأصبح البلاط الإنكليزي أكثر قلقا، ولكن مع اقتراب نهاية الشهر عاد تشارلز إلى الظهور وسار جنبا إلى جنب مع إدوارد إلى الحدود، لم ترافق الملكة اليانور زوجها وكانت هذه المرة الوحيدة، ففي هذا الوقت من السنة كانت جبال البرانس أمرا صعبا تقريبا، وكان على الملك وابن خالته والرهائن ركوب قمم ثلجية ومعهم مئات من الجنود المجندين خصيصا كمرشدين. كانت وجهتهم بيرينيرPeyrenère أعلى نقطة من ممر الجبل، أكثر من ٥٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر. [٧٨]

عندما وصلوا إلى هناك في أوائل آذار، كان قد نصب إدوارد صليباً خشبياً كبيراً لتَأشير الحدود بين سلطته و ملك أراغون، وفي ٦ آذار ١٢٨٩ وصل ألفونسو، وتبادل الرهائن. وعاد البلاط الإنكليزي الموحد مرة أخرى إلى أولورون، اذ استقبلتهم الملكة المنتظرة بفارغ الصبر ، وكان هناك بهجةٌ كبيرةٌ أيضاً في أولورون لعودة الرهائنَ الإنكليزَ بسلامة، اما تشارلز ساليرنو فأعرب انه سيبقى إلى الأبد ممتنا للملك ادوارد الذي عمل على تخليصه من الاسر وضَمنَ نجاتَه. [٧٩]

الخاتمة

استطاع ملك انكلترا ادوارد الاول منع قيام حرب في القارة الاوربية كادت ان تكون واقعة لا محال مستفيدا من علاقاته الجيدة مع اغلب اطراف النزاع، وفي حقيقة الامر ان تقمص الملك ادوارد الاول لدور صانع السلام في اوروبا بتبنيه القضية الصقلية وجهوده الاستثنائية في وأد الحرب هناك لم يكن منطلقه نابعاً من دافع شخصه كمحب للسلام وانما على النقيض من ذلك، ويتضح ذلك بتتبع بسيط لمسيرته وطريقة حكمه الطويلة، لعله اكثر الملوك الانكليز خوضا

للحروب سواء في ويلز وفرنسا واسكتلندا ،انما كان الدافع هو تحقيق اهدافه ومصالحه الخاصة لا سيما السياسة الصليبية التي اتبعها

-هوامش البحث.

( ) فريدريك الثّاني Friedrichs II: ولد في ٢٤ كانون الاول عام ١١٩٤ في صقلية من سلالة هوهنشتاوفن الالمانية. في بداية عام ١١٩٦ اراد والده هنري السادس قبل رحيله في حملة صليبية تتويج ابنه ملكا على المانيا خلفا له وهذا ما حدث عندما تجمع الأمراء الالمان في فرانكفورت واقروا بذلك . توفي والده عام ١٢٩٧ ، في ١٧ ايار ١١٩٨ توج ملكا على صقلية في كاتدرائية باليرمو عندما كان عمره اربع سنوات وظل ملكا عليها الى وفاته. ، في عام ١٢١٥ اصبح امبراطور روما المقدس. ما ميز عهده هو محاولاته للسيطرة على كل ايطاليا مما ادخله في صراع مع البابوية. كذلك قيادته للحملة الصليبية السادسة عام ١٢٢٨ وفي العام التالي توج نفسه ملكا على القدس. شهد حكمه لصقلية نجاحا ملحوظا على كافة الصعد. اشتهر بالذكاء الحاد واجادته لعدة لغات ومعرفته بالعلوم والفنون حتى لقب بأعجوبة العالم.للمزيد ينظر:

Johann Loserth, Geschüchte Des späteren Mittelaltersvon 1197 bis 1492, DrucKk und Verlag von R, München,1903,PP.77-119- Lionel Alhhorn, The life and times of Frederick II Emperor of the Romans King of Sicily and Jerusalem 1 194-1250,London,1912,PP.24-277.

(2)T. L. Kington, History of Frederick The second Emperor of The Romans, Vol.II, London,1862,P.507.

(3)WILLY COHN, DIE GESCHICHTE DER SIZILISCHEN FLOTTE UNTER DER REGIERUNG KONRADS IV. UND MANFREDS (1250-1266), KARL CURTiTJS, BERLIN,1920,P.3.

(4)UGO BALZANI, THE POPES AND THE HOHENSTAUFEN, NEW YORK, 1909,PP.221-222

(٥)UGO BALZANI,OP.CIT.,P.223.

(6)Lionel Allshorn, THE LIFE AND TIMES OF FREDERICK II EMPEROR OF THE ROMANS KING OF SICILY AND JERUSALEM 1194-1250, ,London, I9I2,P.279

(7)M.Creighton, Life of Simon de Montfort Earl of Leicester , London,1895,p.84

(٨) كان هنري الثالث يعتمد في مطالبته بعرش صقلية على صلة القرابة من هنري ابن الامبراطور الالماني فردريك الثاني من زوجته ايزابيلا بلاتاجنت شقيقة هنري الثالث وتصاعدت تلك الامال بوفاة ابن الامبراطور الالماني وايزابيلا بلاتاجنت عام ١٢٥٤.ينظر: زينب عبد المجيد عبد القوي،الانجليز والحروبالصليبية في الفترة ١١٨٩-١٢٩١،عين للبحوث الانسانية والاجتماعية،القاهرة،١٩٩٦،ص١٩٠

(9)CHARLES H. PEARSON, M. A, HISTORY OF ENGLAND DURING THE EARLY A ND MIDDLE AGES, VOL. II. LONDON, 1867,p214

(10)UGO BALZANI,OP.CIT.,P.225

(11)WILLIAM HUNT, HISTORY OF ITALY, MAC MILL AN AND CO,LONDON, 1883,P.53.- C. RAYMOND BEAZLEY, AT THE CLARENDON PRESS, OXFORD1917,P.147

(12)UGO BALZANI,OP.CIT.,P.224.-226.

(13)IBID.,PP.227-230.

(14)AUGUST KARST, CESCHICHTE MANFREDS VOM TODE FRIEDRICHS II BIS ZU SEINER KRÖNUNG(1250-1258), BERLIN, 1897 ,PP.161-162.

(15)WILLIAM HUNT, OP.CIT.,P.54.- FERDINAND GREGOROVIUS, HISTORY, OF THE CITY OF ROME, GEORGE BELL & SONS, LONDON,1897.P.336.

(16)MARTIN A. S. HUME, HISTORY OF SPAINFROM THE EARLIEST TIMES TO THE DEATH OF FERDINAND THE CATHOLIC,VOL.I. NEW YORK, 1900,P.300.

(17)UGO BALZANI,OP.CIT.,P.237.-238.

(18)WILLIAM HUNT, OP.CIT.,P.56

(19)Richard Sternfeld, Karl von Anjou, R. Gaertners Verlagsbuchhandlung, Berlin,1888,P.220.PP.242-246.

(20)Karl Vofiler, Die göttliche Komödie Entwicklungsgeschichte und Erklärung, Carl Winter's Universitätsbuchhandlung, Heidelberg,1910,PP.89-90-Ugo Balzani,Op.Cit.,P.343.

(21)UGO BALZANI,OP.CIT.,P.253؛Adam Buckreis, Panoramader Welt und Kulturgeschichte, Verlag von Heerdegen Barbeck, Nürnberg,1909,P.189.

(22)MARTIN A. S. HUME, OP.CIT.,P.300.

(23)Marc Morris,OP.CIT.,P. 160.

(24)HENRY HART MILMAN, HISTORY OF LATIN CHRISTIANITY, VOL. VI., NEW YORK,1870,155-156.

(25)IBID.

(26)JOS. DE BUELOW,HISTORICAL SKETCHES OF EUROPE,NEW YORK,P.8.

(27)IBID.

(28)HANS PRUTZ,THE AGE OF THE RENAISSANCE,Washington,1905,P.338

(29)WILLIAIM BARRY, THE Monarchy FROM ST. GREGORY THE GREAT TO BONIFACE VIII, (590—1303), NEW YORK,1902.P.370. JOS. DE BUELOW, OP.CIT.,P.8.

(30)FRANCIS MARION CRAWFORD,THE RULERS OF THE SOUTH SICILY, CALABRIA, MALTA, VOL. II., THE MACMILLAN COMPANY, LONDON,1900.P.326.

(31)WILLIAIM BARRY, OP.CIT.,P.371.- JOS. DE BUELOW, OP.CIT.,P.8.

(32)IBID.
(33)Marc Morris,OP.CIT.,P. 160..
(34)TRANSACTIONS OF THE ROYAL HISTORICAL SOCIETY, VOL. III, OFFICES OF THE SOCIETY, LONDON,1909,.P.133
(35)Marc Morris,OP.CIT.,P. 160.
(36) IBID,OP.CIT.,P. 161.
(37)ULICK RALPH BURKE, A HISTORY OF SPAIN FROM THE EARLIEST TIMES TO THE DEATH OF FERDINAND THE CATHOLIC, VOL. I., LONDON,P.280.
(38)R. LODGE, THE CLOSE OF THE MIDDLE AGES, LONDON,1915,PP.48-49- CHARLES E. CHAPMAN, A HISTORY OF SPAIN,NEW YORK,1918,P.127.
(39)Marc Morris,OP.CIT.,P. 161.
(40)IBID.
(41) IBID,OP.CIT.,PP. 161-162.
(42)WILLIAIM BARRY, OP.CIT.,P.371.
(43)Marc Morris,OP.CIT.,PP. 164.
(٤٤)THOMAS GREENWOOD, GREAT LATIN PATRIAROHATE, LONDON,1872,P.260.
(45)R. LODGE, OP.CIT.,P.49.
(46)FRANCIS MARION CRAWFORD, OP.CIT.,P.332.
(47)EDITORS, NEW BIOGRAPHICAL DICTIONARYT, PHILADELPHIA,P.23.
(48)JAMES H . HARRISON, SPAIN, ESTES AXD LAURIAT, BOSTON,1881,P. 210.- CLEMENTS R. MAEKHAM, THE STORY OF MAJORCA AND MINORCA, LONDON,1908,P.96.
(49)T.F.TOU TT,THE HISTORY OF ENGLAND ROM THE ACCESSION OF HENRY III. TO THE DEATH OF EDWARD III, , LONGMANS GREEN AND CO, NEW YORK,1905,P.169.
(50)THOMAS GREENWOOD, OP.CIT.,P.257.
(51)T.F.TOUT, , OP.CIT.,P.169.
(٥٢)TRANSACTIONS, OP.CIT.,PP.١٣٣-١٣٤..
(53)T.F.TOUT, , OP.CIT.,P.170.- Marc Morris,OP.CIT.,PP. 164.
(٥٤)JAMES H. RAMSAY, OP.CIT.,P.357.
(55)T.F.TOUT, , OP.CIT.,P.170.- Marc Morris,OP.CIT.,PP. 165.
(56)JAMES H. RAMSAY, OP.CIT.,P.357.
(٥٧)IBID.,P.358. T.F.T OUT, , OP.CIT.,P.170.

(٥٨)IBID. Marc Morris,OP.CIT.,PP. 166.

(59)THOMAS GREENWOOD, OP.CIT.,PP. 262.- T.F.T OUT, , OP.CIT.,P.١٧٠.

(٦٠)JAMES H. RAMSAY, OP.CIT.,P.359.

(٦١)Marc Morris,OP.CIT.,PP. 167.

(٦٢) IBID, PP. 168.

(63)CLEMENTS R. MAEKHAM, OP.CIT.,P.96.- JAMESH RAMSAW, OP. CIT,P. 359.

(٦٤)THOMAS GREENWOOD, OP.CIT.,P. 363.

(٦٥)JAMES H. RAMSAY, OP.CIT.,P.359. T.F.T OUT, , OP.CIT.,P.171.

(٦٦)CLEMENTS R. MAEKHAM, OP.CIT.,P.97.

(٦٧)Marc Morris,OP.CIT.,P.169.

(٦٨)IBID.,P.170

(٦٩)THOMAS GREENWOOD, OP.CIT.,P. 364.

(٧٠)JAMES H. RAMSAY, OP.CIT.,PP.359-360.

(71)MARTIN A. S. HUME, SPANISH PEOPLE THEIR ORIGIN, GROWTH AND INFLUENCE, WILLIAM HEINEMANN, LONDON,1901,P.198.

(٧٢)JAMES H. RAMSAY, OP.CIT.,PP.359-360.

(٧٣)Marc Morris,OP.CIT.,P.172.

(٧٤) IBID,P.173.

(٧٥)JAMES H. RAMSAY, OP.CIT.,PP.359-360.

(٧٦)T.F.T OUT, , OP.CIT.,P.171.

(77)TRANSACTION, OP.CIT.,P.134.

(٧٨)Marc Morris,OP.CIT.,P.173.

(٧٩)IBID.

المصادر

اولا- الكتب الوثائقية الانكليزية.

-TRANSACTIONS OF THE ROYAL HISTORICAL SOCIETY, VOL. III, OFFICES OF THE SOCIETY, LONDON,1909.

ثانيا- الكتب الانكليزية

-C. RAYMOND BEAZLEY, AT THE CLARENDON PRESS, OXFORD,1917

-CHARLES E. CHAPMAN, A HISTORY OF SPAIN,NEW YORK,1918

-CLEMENTS R. MAEKHAM, THE STORY OF MAJORCA AND MINORCA, LONDON,1908

-EDITORS, NEW BIOGRAPHICAL DICTIONARYT, DAVID MCKAY PUBLISHER, PHILADELPHIA,1899
-FERDINAND GREGOROVIUS, HISTORY, OF THE CITY OF ROME, GEORGE BELL & SONS, LONDON,1897.
-FRANCIS MARION CRAWFORD,THE RULERS OF THE SOUTH SICILY, CALABRIA, MALTA, VOL. II., THE MACMILLAN COMPANY, LONDON,1900.

-HANS PRUTZ,THE AGE OF THE RENAISSANCE,Washington,1905
HENRY HART MILMAN, HISTORY OF LATIN CHRISTIANITY, VOL. VI, NEW YORK,1870
-JAMES H . HARRISON, SPAIN, ESTES AXD LAURIAT, BOSTON,1881
-JAMES H. RAMSAY, THE DAWN OF THE CONSTITUTION OR THE REIGNS OF HENRY III AND EDWARD I 1216-1307, LONDON,1908
-JOS. DE BUELOW,HISTORICAL SKETCHES OF EUROPE,NEW YORK

-Lionel Alhhorn, THE LIFE and TIMES OF FREDERICK II EMPEROR OF THE ROMANS KING OF SICILY AND JERUSALEM 1 194-1250, London ,1912
-MARTIN A. S. HUME, HISTORY OF SPAINFROM THE EARLIEST TIMES TO THE DEATH OF FERDINAND THE CATHOLIC,VOL.I. NEW YORK,1900.
----------,SPANISH PEOPLE THEIR ORIGIN, GROWTH AND INFLUENCE, WILLIAM HEINEMANN, LONDON,1901
-Marc Morris, A Great and Terrible King (Edward I and the Forging of Britain) London,2008
- R. LODGE, THE CLOSE OF THE MIDDLE AGES, LONDON,1915
-T.F.T OU TT,THE HISTORY OF ENGLAND ROM THE ACCESSION OF HENRY III TO THEDEATH OF EDWARD III, LONGMANS GREEN AND CO, NEW YORK,1905
-THOMAS GREENWOOD, GREAT LATIN PATRIARCHATE, DICKINSON AND HIGHAM LONDON,1872
-UGO BALZANI, THE POPES AND THE HOHENSTAUFEN, NEW YORK,1909.
-ULICK RALPH BURKE, A HISTORY OF SPAIN FROM THE EARLIEST TIMES TO THE DEATH OF FERDINAND THE CATHOLIC, VOL. I., LONDON
-WILLIAIM BARRY, THE Monarchy FROM ST. GREGORY THE GREAT TO BONIFACE VIII, (590—1303), NEW YORK,1902

-WILLIAM HUNT, HISTORY OF ITALY, MAC MILL AN AND CO,LONDON,1883

ثالثا – الكتب الالمانية

-Adam Buckreis, Panoramader Welt und Kulturgeschichte, Verlag von Heerdegen Barbeck, Nürnberg,1909

-AUGUST KARST, CESCHICHTE MANFREDS VOM TODE FRIEDRICHS II BIS ZU SEINER KRÖNUNG(1250-1258), BERLIN, 1897

-Johann Loserth, GeschücHTE DES SPÄTEREN MITTELALTERSVON 1197 BIS 1492, DRUCK UND VERLAG VON R, MÜNCHEN,1903

-Karl Vofiler, Die göttliche Komödie Entwicklungsgeschichte und Erklärung, Carl Winter's Universitätsbuchhandlung, Heidelberg,1910

-Richard Sternfeld, Karl von Anjou, R. Gaertners Verlagsbuchhandlung, Berlin,1888.

-WILLY COHN, DIE GESCHICHTE DER SIZILISCHEN FLOTTE UNTER DER REGIERUNG KONRADS IV. UND MANFREDS (1250-1266), KARL CURTiTJS, BERLIN,1920

رابعا- الكتب العربية

- زينب عبد المجيد عبد القوي،الانجليز والحروبالصليبية في الفترة ١١٨٩-١٢٩١،عين للبحوث الانسانية والاجتماعية،القاهرة،١٩٩٦